

مجلة أنثروبولوجية (الأوبان) المجلد 19 العدد 01 2023/01/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أنثروبولوجيا المخيال الاجتماعي

-مقاربة في دور الدين والأمثال الشعبية لإنتاج وإعادة إنتاج المخيال الاجتماعي المحلي-

Anthropology of the social imagination

-An approach to the role of religion and popular proverbs for the production and reproduction of the local social imagination -

سوالمية نورية *

جامعة معسكر (الجزائر)

n.soualmia@univ-mascara.dz

تاريخ القبول: 2022/03/02

تاريخ الاستلام: 2022/01/04

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى التعرف على مفهوم المخيال الاجتماعي والوقوف عند أهم المصادر الثقافية للمخيال المحلي الجزائري، وهما الدين الإسلامي والأمثال الشعبية المتداولة بين الأفراد، وكيف تساهم في بناء التمثلات والممارسات الاجتماعية.

توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها أن كل من الدين والأمثال الشعبية مازالا يؤثران على المخيال المحلي للمجتمع الجزائري، ومازالت التمثلات والممارسات الاجتماعية تنطلق من هذين المصدرين الهامين. الكلمات الدالة: المخيال الاجتماعي، المخيال الاجتماعي المحلي، الدين، الأمثال الشعبية.

Abstract:

The article aims to identify the concept of social imagination, and the most important cultural sources of the Algerian local imagination, including: Islamic religion and popular proverbs. and how they contribute to building social representations and practices.

We concluded that religion and popular proverbs influence the local imagination of Algerian society, and that social representations and practices stem from these two important sources.

Keywords: the social imagination, the local social imagination, religion, popular proverbs.

* المؤلف المرسل: سوالمية نورية، الايميل: n.soualmia@univ-mascara.dz

مقدمة:

يعتبر مفهوم المخيال الاجتماعي مفهوم معقد، ويشتمل على الفهم المشترك الذي يمكن الأفراد من القيام بالممارسات الجمعية التي تصنع حياتهم الاجتماعية، فالذاكرة الجماعية بما تحمله من تمثيلات وتصورات المكونة لثقافة المجتمع تأتي من مصادر عدة، كما تأتي نتيجة تفاعل بين الأفراد وأيضا تفاعلهم مع بيئتهم، فبقدر ما ينتج المجتمع الثقافة، تنتج الثقافة مجتمعاتها.

ومن بين المصادر الثقافية الهامة التي تصنع وتنسج المخيال الاجتماعي الجزائري نذكر الدين الإسلامي وما يحمله من نصوص شرعية إلهية، والأمثال الشعبية التي يبدعها الأفراد، فهم الذين يعطوها دافعية الانتشار.

وعليه نحاول من خلال هذا البحث الوقوف عند أهمية كل من الدين الإسلامي باعتباره مصدر إلهي، والأمثال الشعبية المصدر الإنساني ودورها في بناء وإعادة بناء المخيال الاجتماعي المحلي.

أولا: المخيال الاجتماعي: مقارنة مفاهيمية

يعد المخيال الاجتماعي الطريقة التي يتصور الناس من خلالها وجودهم الاجتماعي، وتوقعاتهم تجاه محيطهم وبيئتهم الاجتماعية، وأيضا يشمل المخيال الأفكار والصور المعيارية الكامنة خلف توقعات وتصورات الأفراد.

عرف المخيال على أنه "عبارة عن شبكة من الصور التي تستثار في أي لحظة بشكل لاواع وكنوع من رد الفعل" (الشبة محمد، 2014، ص 29). وقد استعملت الأنثروبولوجيا الفرنسية مفهوم المخيال الاجتماعي فعرفته على أنه: "مجموعة من التمثيلات Représentations الأسطورية للمجتمع" (عبد الهادي الجوهري، 1998، ص 202)، كما أن المخيال يعتبر الإطار الجماعي الذي يوجه ويحدد طبيعة ومسيرة المجتمعات وحضاراتها، وهو روح الثقافة الشعبية، فعن طريقه يتزود الفرد بثقافة مجتمعه، وترسخ لديه قيم ومعتقدات ومعايير تشعره بالانتماء للمجتمع، وهو ما ينمي الشعور الجمعي لديه. وهكذا فإن المخيال يعبر عن جملة من التصورات والرموز والدلالات والمعايير والقيم، فهو مجموعة من التمثيلات الاجتماعية، لذا سنحاول مقارنة مفهوم المخيال الاجتماعي من خلال تحليلنا لمفهوم التمثيلات الاجتماعية.

إنّ التمثلات "عملية تتم اعتمادا على جهاز نفسي بشري يستمد معطياته من الواقع انطلاقا من المعلومات التي يتلقاها الفرد من عدة مصادر كالحواس والخبرات والتي تجتمع لديه وتخزنها ذاكرته، ومن المعلومات التي يستقيها عن طريق العلاقات التي يربطها بغيره من الأفراد والجماعات، ومجموع هذه الخبرات أو المعلومات تصنف وتنظم في شكل نسق ذهني عام ومتماسك بكيفية تسمح للفرد بفهم العالم المحيط به أو أحد محتوياته مما يجعل الفرد قادرا على التأثير فيه والتكيف معه" (أوزي أحمد، 1988، ص 69) وتعتبر التمثلات فعل إرجاع أو استحضار شيء أو مفهوم بواسطة صورة أو رمز أو علامة، كما أنّه كل فعل ذهني يعيد الفرد من خلاله موضوعا ما.

والتمثلات الاجتماعية واقعة في مفترق حدود ما هو نفسي وما هو اجتماعي حيث تسمح للأشخاص وكذلك الجماعات بالتحكم في محيطهم والتأثير عليه، من غير وجود قطعة أو انقطاع بين العالم الخارجي والعالم الداخلي للفرد أو للجماعة في تكوين التمثلات، إذ أنّ التمثل "نظرة شاملة للحياة العقلية في امتداداتها الفردية والاجتماعية وفي وظيفتها الخاصة بتكيف الفرد مع العالم" (شوقي محمد، 2009، ص 192). وفي هذا الصدد يقول اميل دوركايم E. Durkheim: "تنبثق التمثلات الاجتماعية من العلاقات التي تنعقد بين الأفراد المجمعين، أو بين الجماعات الثانوية التي توجد بين الفرد والمجتمع الكلي (...). وإذا كنا نذهب إلى القول بأن التمثلات الجماعية خارجية بالنسبة للوعي الفردي، فذلك لأنها لا تنبع من الأفراد طالما ظلوا معزولين عن بعضهم البعض، ولكن من اجتماعهم؛ وهذا شيء مختلف تماما. ومن دون شك، فإن النتيجة المشتركة تتضمن نصيبا من كل طرف، ولكن الأحاسيس الخاصة لا تصبح اجتماعية إلا لما تنصهر تحت تأثير قوى خاصة جدا تنمو وتتفاعل بفضل الاجتماع" (DURKHEIME., 1974, P. 34)

وهنا يفصل دوركايم بين نموذجين من التمثلات الجماعية والفردية ويطرح استقلالية كل واحد عن الآخر، إلا أن الفرد ومن خلال سيورته يأخذ من التمثلات الجماعية ويعتبرها تمثلاته الفردية وقد يضيفها إلى تمثلاته الفردية، وعليه يبرز التداخل بين التمثلات الفردية والتمثلات الجماعية. كما أكد اميل دوركايم أن "تمثلات الأفراد تختلف باختلاف القيم الثقافية التي اكتسبها من المجتمع وباختلاف استعداداتهم العقلية والوجدانية والجسدية. فالتمثلات، تبعا لهذا الفهم، هي تصورات اجتماعية تتأسس في شكل قيم ومعايير للسلوك والتذوق والقول، بل يمكن اعتبارها تيارات رمزية تسيطر داخل مجتمع معين وتنظم ضمنها المواقف

والسلوكات والأحكام بحيث تمثل صورة لماضي الجماعة وتعكس آفاق رؤيتها ووعيها بشروط وجودها" (شوقي محمد، 2009، ص 189).

واعتبر بيار بورديو P. Bourdieu تمثلات الأفراد نابعة أساساً عن وضعهم الاجتماعي وعن الكيفية التي يمثلون بها ذلك الوضع، والذي ينتج عن ما يسميه الجُبلة أو التطبع Habitus، فهذا الأخير يعرفه على أنه: "نسق من التمثل والإدراك والتقدير والفعل الذي يتمتع بالاستمرارية وإمكانية نقله للآخر، والذي يمكن في النهاية أن يتمأسس في الجسد" (BOURDIEU P. – LOIS WACQUANT J.D., 1992, P. 102)

بوصفه أيضاً "منظومة من البنى الإدراكية ومن بنى التقدير وكذلك كبنى معرفية وتقييمية تكتسب من خلال التجربة الدائمة في موقع داخل العالم الاجتماعي" (BOURDIEU P., 1987, P156). وإن الهايتوس هو المبدأ الذي يولد وينتج الممارسات التي تميل لإعادة إنتاج الشروط الموضوعية، التي كانت ملازمة لإنتاج الهايتوس نفسه، يقول بورديو: "إن التمثل الذي يكون لدى الأفراد عن وضعهم في الفضاء الاجتماعي (...) يتولد عن منظومة من رسوم أو صور الإدراك والتقدير (الهابتوس) التي تتولد بدورها عن وضعية معينة تحددها المكانة في توزيع الخيرات المادية (...) والرأسمال الرمزي (...) والتي تدخل في اعتبارها التمثلات التي تكون لدى الآخرين عن هذه الوضعية، والتي يحدد تجمعها الرأسمال الرمزي (الذي يسمى عادة امتيازاً وسيادة...)، وكذا المكانة في التوزيع وقد وجدت تعبيرها الرمزي في أسلوب العيش" (بورديو بيار، 2007، ص 69)، وعليه التمثلات من وجهة هذا الباحث تعزز الفوارق الاجتماعية والطبقية وتؤيد مسألة إعادة إنتاج نفس العلاقات الاجتماعية، فتتغير تمثلات الفاعلين حسب مواقعهم (وكذلك حسب المصالح التي يشتركون فيها) وحسب ملكاتهم.

ويرى فيشر G.N.Fischer أن التمثلات هي "عملية بناء اجتماعي لمعارف عادية مهيأة من خلال القيم والمعتقدات، ويتقاسمها أفراد جماعة معينة، وتدور حول مواضيع مختلفة (أفراد، أحداث، فئات اجتماعية... الخ) وتؤدي إلى توحيد نظرهم للأشياء كما تظهر أثناء التفاعلات الاجتماعية" (FISCHER G. N., 2005, P.131). فإنّ التمثلات مصدرها المجتمع ويتم تناقلها بين الجماعات عن طريق الاتصال الاجتماعي. نفس الطرح نجده عند أبريك J.C.Abric، الذي يعتبر التمثل على أنه سوسيويادراكي (sociocognitif)

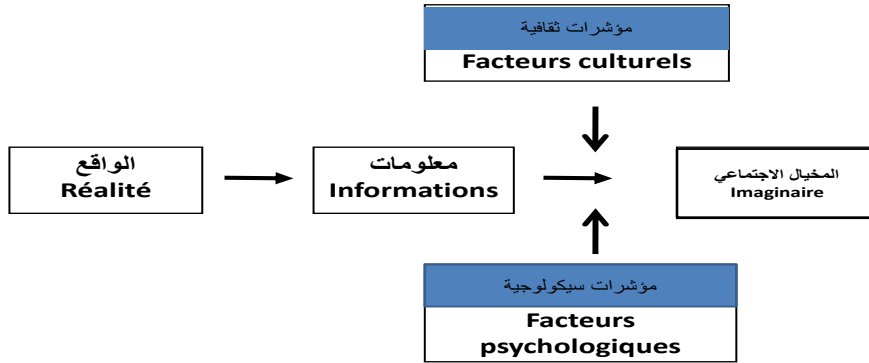
(ABRIC J. C., 1997, P. 13) ، ويتكون من مكونين أساسيين: الأول خاص بالإدراك وبالجانب النفسي خاصة، أما الثاني فهو اجتماعي يتحدد بظروف اجتماعية، ومن وجهة نظر ذات الباحث يعد التمثيل "منتوج ونظام ونشاط عقلي بفضل يعيد الشخص أو المجموعة بناء الواقع الذي يواجهه ويسند له رموزا خاصة (...) فهو نسق لترجمة الواقع الذي يحكم العلاقات مع الأفراد ومحيطهم، موجهة للفعل أو للبنية الاجتماعية المعرفية" (ABRIC J. C., 1997, P. 13) يبين هذا التعريف تداخل بين الميكانيزمات الفردية -العمليات العقلية الإدراكية- والعوامل الاجتماعية المتمثلة في التفاعلات الاجتماعية لتشكيل الواقع.

وتعدّ التمثيلات الاجتماعية من الظواهر المعقدة الفعالة في الحياة الاجتماعية والتي تتواجد داخل الواقع الاجتماعي بصورة دائمة. وهي "مجموعة منظمة من الآراء، المعتقدات، المعلومات والمعارف" (ABRIC J. C., 1989, P.203)، وتتكون "انطلاقا من الحوار أو برنامج تحركي كالسفر والتجارة وغيرها" (JACOB C., 1987,P.213)، بمعنى أن الأفراد يتناقشون التصورات والآراء من خلال الحوار والحركة والتنقلات. ونشمن ذلك بقول موسكوفيسي عندما اعتبر التمثيلات الاجتماعية "كيانات حقيقية تتحرك وتتلاقى كما أنّها تبلور بدون انقطاع، لا تتوقف بواسطة الكلام الحركة والتعارف في حياتنا اليومية" (HEWSTONE, M., 1989, P. 261)

ومن المعلوم أن التمثيلات غير ثابتة ولكن في تغير مستمر يكتسبها الفرد خلال حياته اليومية التي تنتج نماذج جديدة بالتخلي عن النماذج القديمة، وهذا ما سماه فلامو C. Flament بـ "حرق التمثيلات وظهور تمثيلات جديدة بدون قطيعة مع الماضي في كثير من الأحيان" (FLAMENT C., 1989, P.231)، وأشار مؤكدا على التغير البنوي للتمثيلات، وعلى هذا الأساس هي في حركية دائمة يلغى بعضها ويضاف البعض الآخر، وتبنى باستمرار وداخل صيرورة عابرة عن طريق التفاعل بين الأفراد والجماعات. ومما يجدر الإشارة إليه أن التمثيلات تتغير بتغير الحياة الاجتماعية، ولها دور في تشكيل هذه الحياة الاجتماعية. وهو الأمر الذي كان يصبو إليه سبربر D. Sperber، الذي أكد أن

التمثيلات تظهر على شكلين وهما: -115 (SPERBER Dan., 1989, P.P. 130)

- منها ما ينقل بسرعة من جيل إلى جيل آخر، وهذا ما يسميه الأنثروبولوجيون بالتقاليد.
 - ومنها نماذج من التقاليد العصرية تنشر لدى الأفراد عن طريق الاحتكاك، لكن وقتها قصير إذا ما قورنت بالشكل الأول، وهذا ما سماه سيربر بالنماذج الجديدة -الموضة- واستنادا إلى ما تقدم من حديث عن التمثيلات الاجتماعية يمكن أن نستنتج أنّ المخيال الاجتماعي هو مختلف التصورات والتمثيلات وأشكال الوعي التي يبنها الفاعلون الاجتماعيون ضمن محيط اجتماعي واطار مجتمع محدد بثقافة معينة، فالفرد يعيش في ظل ثقافة يتخذ فيها الواقع الاجتماعي أمرا مسلما به. وتتنوع مصادر المخيال الاجتماعي كما يبين الشكل الموالي.
- الشكل 1: مصادر المخيال الاجتماعي



من خلال الشكل 1 يتضح أن المخيال الاجتماعي ينطلق من الواقع، أو المعلومات التي تنتشر بحكم التفاعل الاجتماعي، إضافة إلى تدخل مؤشرات ثقافية ومؤشرات سيكولوجية هامة، تتحكم فيه آليات وميكانزمات عقلية ونفسية واجتماعية وثقافية.

سنركز في طرحنا هذا على المؤشرات الثقافية، وكنموذجاً للتحليل اعتمدنا على الدين والأمثال الشعبية ودورها في بناء المخيال المحلي.

ثانياً: الإسلام مصدر للمخيال المحلي الجزائري

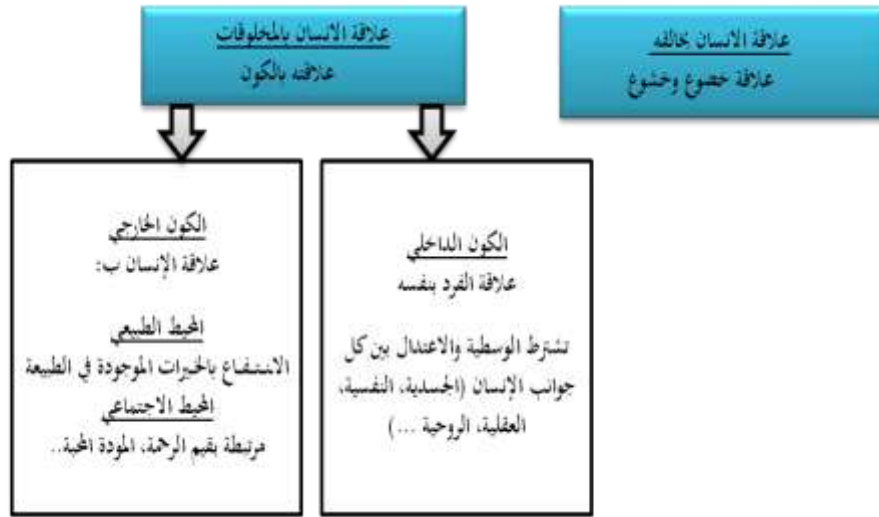
يؤثر الدين بما يتضمنه من قيم ومبادئ وغايات في السلوك الاجتماعي، وعلى مستوى التمثلات، فعن طريق الاعتقاد والشعائر تتصل الغايات العامة بعالم تخيلي يرمز إليه بالموضوعات المقدسة الثابتة، وهذا العالم يتصل بدوره بالحقائق والتجارب الخاصة بحياة الأفراد.

لذا يعتبر الدين مصدراً من مصادر القيم لدى الجماعة ومؤسس لنظام الحياة، وهو مؤسسة اجتماعية ثقافية، ومجموعة من السنن والتشريعات الواجب والمفروض إتباعها. "وبقدر ما يقوم الدين بتشكيل الثقافة وتعبئتها، يقوم أيضاً بشحنها بالرموز والمضامين والقيم، بل يسهم في تشكيل حقلها الخاص داخل الاجتماع المدني، الذي ليس بالضرورة أن يكون ديناً خالصاً بل هو في الواقع الموضوعي يتكون بالتفاعل مع الحقل الاجتماعي، بما يحمله من ضغوط وتحديات واستجابات تفضي إلى تعبئة 'المخيال الجماعي' برموز وقيم وعادات وتقاليد، من شأنه استثمارها في الحقل الثقافي أن يعيد التوازن إلى الذات، ويشحنها بالتالي على الأداء الأفضل والأمثل (...). وبذلك يعد الدين طاقة تعبوية هائلة لشحن الحقل الثقافي، وهو يمتلك نماذج لها قدرة استفاضية فعالة في مجال الصراعات وفي توفير المناعة والصمود والصبر" (عماد عبد الغني، 2006، ص 139). إذن الدين يشكل نسقا من الرموز تؤثر حياة المؤمنين في مجال المعتقدات والممارسات على حد سواء، يعمل على تكوين وتشكيل المخيال الاجتماعي بما يتضمنه من رموز وقيم وغيرها... كما أن الدين أحد أدوات الضبط الاجتماعي والرقابة على السلوك الاجتماعي.

فمجتمعاتنا العربية الإسلامية على العموم لا تزال خاضعة لمقولة "الإنسان الديني وكل حمولاتها الدلالية، ما دام ميلاد كل فرد منا لا يكون إلا عن طريق مفهوم الحلال 'المبارك' الذي يستوجب الاعتراف بالشروط التي يشترطها الديني، وكل عناصره للضبط الاجتماعي، وسيروية تنشئته الاجتماعية عبر الزمان والمكان اللذين يتغذيان بطاقة المقدس، وفي المحصلة، إن العائلة العربية والإسلامية في أصلها وجذرها هي إنتاج ديني، وكل شيء مبناه ومعناه الأصل والأساس. وقد تضمن الديني ترسانة من التشريعات والتكليفات، وأنساقاً من القيم والمعايير للبناء العائلي والعمليات والوظائف المنوطة به، فمن أركان الزواج وشروطه إلى أحكام الجنائز ونظام الموارث، تفاصيل وحيثيات تنتظم العائلة العربية والإسلامية بها" (غرس الله عبد

الحفيظ، (<http://almultaka.org/site.php?id=268&idC=3&idSC=12>)، ويعتبر الدين منهاجا للحياة، يحوي على العديد من القواعد المحددة للعلاقة بين الإنسان وخالقه والإنسان والمخلوقات، كما يطرحها الشكل الموالي.

الشكل 2: الدين وتحديد علاقة الإنسان



لقد أطر الإسلام الحياة الاجتماعية بمجموعة من القواعد والمعايير، لذلك اعتبر إطارا فكريا شاملا ومنظما للعلاقات الاجتماعية على اختلافها، يقوم بدوره على تنظيم علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبأخيه الإنسان وبباقي المخلوقات، مستعملا مفهوم المعاملة للدليل على هذه العلاقة، يقول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 36). وعليه فعلاقة الإنسان بربه علاقة عبودية وعدم الشرك به، ثم يأتي في المرتبة الثانية الوالدين وضرورة الإحسان لهما، دون نسيان الأقارب واليتامى والمساكين والجيران والأصدقاء وابن السبيل...

من أجل الإحسان والمودة والرحمة والمحبة بينهم. ففي المخيال المحلي تقدم الصدقة على سبيل المثال للأقارب، وإذا كانوا لا يحتاجونها تذهب للجيران ولليتامى وللمساكين ثم لابن السبيل.

ولتوضيح أكثر عن كون الإسلام مصدرا من مصادر المخيال المحلي نذكر بعض النماذج:

- الحياة العائلية العربية والإسلامية هي إحدى تحليلات المقدس في العالم الديني، وتأكيد لحضور هوية الإنسان الديني واستمراره، رغم مزاحمة مشاريع التحديث والعلمنة، وكافة مظاهر التغير الاجتماعي لوجوده وكيونته، يظل الديني في قلب ومضمون النظام العائلي، وإن تعدد القالب (غرس الله عبد الحفيظ، <http://almultaka.org/site.php?id=268&idC=3&idSC=12>)

- مرض نقص المناعة المكتسبة "الايدز" المرتبط في المخيال المحلي بالانحراف والقيام بالممارسة الجنسية المحرمة، باعتباره داء ينتقل بالدم، والجنس اللاشعري أحد مسبباته، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 32)

- تقديس الأولياء في المخيال المحلي: استنادا لقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (القرآن الكريم، سورة يونس، الآية 62) وتأني كرامات الأولياء والصالحين في الترتيب بعد معجزات الأنبياء، وقد صنف الصوفية الكرامات إلى أنواع أو فصائل جعلها "التاج السبكي" في طبقاته الكبرى أكثر من أربع وعشرين نوع: إحياء الموتى، كلام الموتى، إنغلاق البحر والمشى على الماء، إنزواء الأرض، كلام الجمادات والحيوانات، إبراء العلل، طاعة الحيوانات، طي الزمان ونشر الزمان، إستجابة الدعاء، إمساك اللسان، جذب بعض القلوب، الإخبار عن المغيبات والكشف، الصبر على عدم الطعام والشراب، مقام التصريف، القدرة على تناول الكثير من الغذاء، الحفظ عن أكل الحرام، رؤية المكان البعيد من وراء حجب، الهيبة (بحيث يموت المشاهد من الرؤية)، كفاية الله لهم الشر، التصور بأطوار مختلفة، إطلاع الله إياهم على ذخائر الأرض، عدم تأثير المسمومات... الخ (بدران إبراهيم والخماش سلوى، 1988، ص 135) ومنه تولد لدى الأفراد شعور العجز والحاجة المستمرة للبركة وعناية الأولياء الصالحين، تم ترسيخ ذلك في لاوعي الأفراد تتناقله الأجيال عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية وكثيرا ما تبرز في سلوكياتهم وممارساتهم.

- أهمية الماء والحمام في مخيال المسلم: تبين مكانة الماء، هذا الأخير في التصور الإسلامي هو أحد مظاهر النعمة الإلهية، والكثير من الآيات القرآنية تتحدث عن الماء كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ

كُلُّ شَيْءٍ حَيٌّ ﴿ (القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 30)، دليل على أن الماء هو أحد العناصر المكونة للرؤية الكونية والدينية لدى المسلم.

وفي ذكر أهمية الماء في حياتنا وفي تصوراتنا؛ يقول المثل: "المائلة بلا ماء من قلة الفهم" أو "المائلة بلا ماء من قلة الحياء" للدلالة على رمزية الماء وقدسيتها وشغله في الذهنية المحلية مكانا متميزا للدور الذي يلعبه في الحياة اليومية.

ثالثا: أثر الأمثال الشعبية في صنع المخيال المحلي

تقوم الأمثال الشعبية بدور فاعل في ثقافة الشعوب، ولها تأثيراتها المباشرة في السلوك الاجتماعي، حيث يستحضر المثل باعتباره شاهدا على تأكيد فكرة وتعزيزها أو رفضها، وكأن المثل دليل أو مرجح لهذا الرأي على ذاك، وتعرف الأمثال الشعبية على أنها "ظواهر اجتماعية موجودة في المجتمع، تسبق وجود الأفراد وتبقى بعد فنائهم، وهي تسري بين الناس فتظهر على أفعالهم وتتناثر على ألسنتهم، وتكون لهم دستوراً غير مكتوب يأخذون به في معاملاتهم بعضهم مع بعض. والأمثال الشعبية بشرية وواقعية، تتحدث عن السعادة والشقاء، والغنى والفقر، واليسر والعسر، والجمال والقبح، والقوة والضعف، والكرم والبخل" (الساعاتي سامية، 2002، ص 312)، ويعرف المثل كذلك على أنه "قول مأثور، تظهر بلاغته في إيجاز لفظه، وإصابة معناه، قيل في مناسبة معينة، وأخذ ليقال في مثل تلك المناسبة" (طاهر جمال وداليا جمال طاهر، www.kotobarabia.com، ص. ص. 24-25)

إن الأمثال تردد لخلاصة التجربة اليومية التي صارت ملكا للمجموعة الاجتماعية وجزءا لا يتجزأ من سلوكها وممارساتها في حياتها اليومية. كما أنها من الناحية الوظيفية العملية تريح النفس وتواسيها بما تتضمنه من حكمة وفلسفة عملية. هذا فضلا عما تنطوي عليه من أحكام خلقية تستقبح الرذيلة، وتمجد الفضيلة. إنها "إبداع في العبارة وإبداع في المعنى وإبداع في المعالجة" (الساعاتي سامية، 2002، ص 312)، و"يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة، فهو نهاية البلاغة، كما أن المثل جملة دقيقة العبارة، وغالبية الأمثال جمل موسيقية متجانسة الأوزان والكلمات، سهلة الإلقاء والتناقل والحفظ، لها إيقاع خاص" (طاهر جمال وداليا جمال طاهر، www.kotobarabia.com، ص 26)، فالأمثال تعد كلمات مختصرة واضحة موسيقية

التركيب ذات وقع طيب على السمع، تحمل حكمة معينة أو فكرة ذات مغزى، تختار عادة بعناية ودقة، ويكون لها وقعها الخاص وجاذبيتها المميزة.

وفي العموم يشكل الأفراد المصدر الحقيقي للأمثال، فهم الذين يبدعون هذه الحكمة وهم الذين يعطوها القوة الدافعة للانتشار والنفوذ في التصورات والتمثيلات التي تظهر في ممارساتهم وفي علاقاتهم الإنسانية بشكل عام؛ حيث يتم تداولها واستحضارها بشكل مستمر، من أجل تدعيم الأفعال، وتبرير الممارسات، وتقويم العادات. وبالرغم من أن مصدر الأمثال الشعبية هم الأفراد إلا أن هناك أمثال كثيرة مستقاة من آيات كريمة، أو أحاديث نبوية شريفة ومن التراث الفكري والثقافي للمجتمع. فالمثل الشعبي "وسيلة ثقافية تربوية أساسية، في غرس القيم والعادات الاجتماعية في نفوس الأفراد وهو بنفس الوقت قيد وضابط وقاعدة تنظم التعامل والتواصل بين الناس" (السّناد جلال غربول، 1992، ص 217).

وهكذا فإنّ للأمثال على اختلاف أنواعها تأثير كبير على تمثيلات وممارسات الأفراد، بما تمتلكه من سلطة إقناعية كان من الضروري أن تتم دراستها، وتحليلها سوسيوأنثروبولوجيا وفيما يلي بعض الأمثال الشعبية المتداولة بين الأفراد تشكل مخيالهم الاجتماعي، وتؤثر في ممارساتهم:

- طاعة الوالدين وبرهما والإحسان لهما المتواجدة في مخيالنا المحلي، ونبذ كل عاص وعاق والديه نجدها بارزة في الأمثال الشعبية التي يتم استحضارها باستمرار في الحياة اليومية حتى ترسخت في الأذهان وانعكست على السلوك الاجتماعي، من بين هذه الأمثال نذكر: "وين بيها يا عاصي الوالدين" "الله يحفظني من العين ودعوة الوالدين" "لي مارضى والديه ما خير فيه"، وكلها تؤكد على ضرورة طاعة الوالدين والمحافظة على رضاهما؛ حيث نلمس من هذه الأمثال البعد الديني الأكثر تأثيرا في الفرد، من خلاله يسعى إلى إبراز القدرة على إرضاء الوالدين لأن إرضاءهما من إرضاء الله. وإن الأمثال الشعبية ذات الصبغة الدينية تشكل من رأسمال ثقافي، والذي "يتشكل من مجموع الخبرات الرمزية التي تشير من جهة إلى المعارف المكتسبة ومن جهة أخرى إلى الانجازات الملموسة، حيث أن الرأسمال الثقافي يتجسد في صورته الاجتماعية" (CHAUVRIE C, et FONTAINE O., 2003, P. 12) إن هذا الدمج بين ما هو ديني وما هو دنيوي، يشكل قيم اجتماعية ذات صبغة دينية لها مميزات الخاصة بها.

- ارتباط بعض القيم بمخيلنا المحلي كقيمة الحياء، والرضا والقناعة التي تناقلت عبر الأجيال المستمدة من مصادر متنوعة من بينها الأمثال الشعبية: فيقال: "لحيا من الدين" وهنا تأكيد على أن

مفهوم الحياء والدين مرتبطين، وبالتالي تدعوا للتخلي بصفة الحياء، "شوف لي تحت منك ما تشوفش لي فوق منك" "البركة في القليل" "لي ماهو ليك يعيبك" لي ما داق المر ما يعرف قيمة الحلو" أمثال تدعوا إلى ضرورة الرضا والقناعة بما قسمه الله للأفراد. وهناك مثل آخر "حشيشة طالبة معيشة" "القناعة كنز لا يفنى" يدل على القناعة بالقليل وعدم الطموح.

- وفي المعاملات والممارسات اليومية وفي تواصلنا بالأفراد نتقيد بجملة من المعايير لصقت بمخيلنا استمدت من عدة مصادر منها الأمثال الشعبية التالية: "لسانك صنتو صانك خنتو خانك" "الفم المبلع ما يدخله دبابة" "الحديث قياس فيه الفضة وفيه نحاس" تدعوا إلى ضرورة حفظ اللسان. "الراجل يتكتف من لسانه" تأكيد على الوفاء بالوعد. "الكلام كي البارود إذا خرج ما يوليش" معناه عدم الرجوع في الكلمة، "راس المال الراجل كلمته" فكلمة الرجل هي شرفه ورأس ماله.

"سمع للكلام الي بكيك ومتسمعش للكلام الي ضحكك" "أنا نوصيك يا سعيد وانت في العمى تزيد" "لي فائتك بليلة فائتك بحيلة" ضرورة الأخذ بالنصيحة.

ضرورة الحذر وأخذ الحيطة: "ما ناكل بصل مانحصل"، "الحيط بوذنيه"، وضرورة أن يكون الفرد فطنا: يقال: "يرقد بعين واحدة كي الذيب" "راس بلا دابة للخسارة" تأكيد لأهمية الفطنة.

وغيرها من الأمثلة التي ارتبطت بمخيلنا المحلي، ومنه تعد الأمثال الشعبية الشحنة الرمزية تعمل على توجيه للسلوك الاجتماعي.

خاتمة:

إن كل من الدين والأمثال الشعبية في مجتمعنا يشكلان مخيلنا المحلي، إذ يعمل كل من هذين المصدرين على الحفاظ على القيم الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع، وكذا على النماذج السلوكية والعلائقية المتعارف عليها، فالدين باعتباره مصدرا إلهيا يضبط حياة الفرد اجتماعيا، أما الأمثال فتتداولها بين الأفراد تعطيها المشروعية والشرعية لدوامها واستمرارها في الوعي الجمعي.

مصادر البحث ومراجعته:

1- القرآن الكريم

-المراجع باللغة العربية

2- أوزي أحمد، 1988، الطفل والمجتمع: دراسة نفسية اجتماعية لصورة الطفل المغربي من خلال الرواية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة.

3- بدران ابراهيم والخماش سلوى، 1988، دراسات في العقلية العربية، ط3، دار الحقيقة، بيروت.

4- بورديو بيير، 2007، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بن عبد العالين، ط3، دار توبقال للنشر، المغرب.

5- الساعاتي سامية، 2002، "الإبداع في المثل الشعبي (تحليل اجتماعي لبعض الأمثال العربية)"، من: التراث والتغير الاجتماعي (تقارير بحث)، الكتاب الثاني: التراث الشعبي في عالم متغير قراءات تأسيسية، ط1، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة.

6- السنّاد جلال غربول، 1992، المثل الشعبي ودلالاته الاجتماعية، دار الهجرة، دمشق.

7- الشبة محمد، 2014، مفهوم المخيال عند محمد أركون، ط1، دار الأمان، الرباط.

8- شوقي محمد، 2009، التحولات الاجتماعية في المغرب (من التضامن القبلي إلى الفردانية)، أفريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب.

9- طاهر جمال وداليا جمال طاهر، موسوعة الأمثال الشعبية (دراسة علمية)، من الموقع الإلكتروني: www.kotobarabia.com

10- عبد الهادي الجوهري، 1998، قاموس علم الاجتماع، ط3، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

11- عماد عبد الغني، 2006، سوسيولوجيا الثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

12- غرس الله عبد الحفيظ، الديني والعائلي في المجتمع العربي والإسلامي، من الموقع الإلكتروني: <http://almultaka.org/site.php?id=268&idC=3&idSC=12>

- المراجع باللغة الأجنبية

13- ABRIC J. C., 1989, "L'étude expérimentale des représentations sociales", In : JODELET D., Les représentations sociales, Puf : Paris.

14- ABRIC J. C., 1997, Pratiques sociales et représentations, 2^{ème} édition , Puf : Paris.

15- BOURDIEU P. – LOIS WACQUANT J.D., 1992, Réponses, Seuil : Paris.

16- BOURDIEU P., 1987, Choses dites, Les éditions de Minuit : Paris.

- 17- CHAUVRIE C, et FONTAINE O., 2003, Le vocabulaire de Bourdieu, Ellipses : Paris.
- 18- DURKHEIM E., 1974, Sociologie et Philosophie, 4^{ème} édition, Puf : Paris.
- 19- FISCHER G. N., 2005, Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale, 3^{ème} édition, Dunod : Paris.
- 20- FLAMENT C., 1989, «Structure et dynamique des représentations sociales », In : JODELET, D, Les représentations sociales, Puf : Paris.
- 21- HEWSTONE, M., 1989, « Représentation sociale et causalité.", In : JODELET, D, Les représentations sociales, Puf : Paris.
- 22- JACOB C., 1987, « La représentation de l'espace : projet pour une réflexion théorique », Espace des autres lectures anthropologiques d'architecture, Les éditions de la villette : Paris.
- 23- SPERBER Dan., 1989, « L'étude anthropologique des représentations. Problemes et perspectives », In : JODELET, D. Les représentations sociales, Puf : Paris.